بعدما وصل عددهن إلى ٤٩ ألفا.. مَواطنون وأخصائيون يعالجون أبعاد الظاهرة

عاملات المنازل..

مساعدات أم «أمهات وافدات»؟!

الرَّقم الذي أفصحتْ عَنْهُ إحصاءات المركز الوطني للإحصاء والمعلومات، أخيرًا، أوضح أنَّ عدد عاملات المنازل (الوافدات) لامَسَ المائة وتسعة وأربعين ألف عاملة، وأثار جدلاً واسعًا في الشارع العُماني، خصوصاً وأنَّ الجميع يعلم أنَّ مهام هؤلاء النسوة لم تعُد تقتصر فقط على الاعتناء بنظافة المنزل والطهو فحسب، بل تخطت ذلك إلى تساهُل بعض الأُسر في الاعتماد عليهن في رعاية أطفالهم، وتربيتهم وتدبير شؤونهم.

التكوين- خاص

وبغضِّ النظر عن «جرائم العاملات» التي تُطالعنا بها وسائل الإعلام بين الحين والآخر، وبعيدًا كذلك عن اختلافات من استطلعنا آراءهم عن أسباب تنامي هذا الرقم، فقد اتَّفق الجميع على أنَّه وإنْ كان الواجب على الأبوين -وهما ينتظران مولودهما- أن يبحثا في الكتب والمؤلفات التربوية الخاصة بالأطفال، وعن البرامج التثقيفية لأجل النجاح في مواجهة هذه المرحلة العمرية من حياتهما؛ فالأولى بهما أن يُترجما ذلك واقعًا عمليًّا بنفسَيْهما ودون وسيط؛ خصوصا وأنَّ النسبة الأكبر من العاملات لا تمتلك مُؤهلات علمية أو تربوية للعناية بالأطفال والقيام على أمور تربيتهم، فضلا عن أنَّ الطاقة التي تستهلكها العاملة في الأعمال المنزلية وكثرة المهام الموكلة إليها، تصعِّب عليها نفسيًّا تقبُّل سلوك الأطفال أو التعامل معهم بلطف؛ وهو ما يُترَجم فيما بَعْد إلى سلوكيات وأفعال سيئة تتوالد تباعًا مع الأجيال الجديدة الصاعدة؛ فالعاملة التي تتعامل مع الطفل وهي لا تملك الوعي الكافي، تتسبَّب سلبا في بناء شخصية غير سويَّة، لا تُدرك فداحة أخطائها، ولا تملك القدرة على تغييرها؛ فكما قيل قديمًا «التعليم في الصِّغر كالنقش على الحجر».. فماذا عن الواقع إذًا؟!

الافتقار للضوابط

المواطن عبدالله البلوشي، حدثنا قائلاً: إنَّ وجود عاملة اليوم بات ضرورةً في الكثير من المنازل، فهي تُدبِّر شؤون الأسرة. إلا أنَّ ما يؤسف له أنها أصبحت تلعب دورًا محوريًّا نيابةً عن الأم؛ كون الأم في المقابل لا تملك الوقت؛ فهي تعمل وتسافر وتمتلك حياة أخرى غير تربية الأبناء وبناء العائلة؛ وهذه أبرز مسبِّبات انتشار الظاهرة؛ فغياب الأم الدائم والمستمر يفضي بالأبناء إلى التعلق بالعاملة واكتساب الكثير من السلوكيات منها؛ ضاربًا مثالا على ذلك قوله: في إحدى العائلات التي تعتمد كليًّا على العاملة، وصلت الحال إلى أنه إذا ما تمَّ استدعاء ولي الأمر في المدرسة تحضر العاملة عوضًا عن الوالدين، وهذا أمرٌ مُحزن.

وتابع موضِحًا: الآن، التحدي الحقيقي أمامنا هو أن الكثير من الأبناء أصبحوا لا يتمسكون بعاداتنا ومبادئنا الأخلاقية؛ فتجدهم يمارسون طقوسًا غير متعارف عليها، وهو أمرٌ لا يجب أبدًا تجاهله.. والمشكلة الأساسية أنَّ كلَّ من يجلب عاملة يعتقد أن حياته الأسرية ستكون أفضل، ولكن في الحقيقة لا يدركون الوضع الحقيقي إلا بعد فوات الأوان، وكل يوم تتردَّد على مسامعنا قضايا عاملات المنازل، ناهيك عن هروب الكثير منهن؛ مما يكلف المواطن والدولة أعباءً مادية؛ فالمسألة ليست فقط على المستوى التربوي أو التثقيفي.

واختتم البلوشي بالقول: لا أقول بمنع استقدام العاملات، بل ما أعنيه أن تكون هناك رقابة مستمرة من قِبل الوالدين، كما يجب أن يكون هناك بُعد نظَر تجاه العاملة، حتى لا تأخذ حيزًا أكبر فتؤثر في سلوكيات أبنائنا الذين هم مسؤوليتنا أمام الله والمجتمع.

أمَّا المواطن مُحمَّد الجهوري، فقال: إنَّ استقدام عاملات المنازل اليوم أصبح ضرورة وحاجة مُلحَّة في زمن الانفتاح والتقدُّم الحضاري؛ فالمرأة أصبحت إحدى ركائز

المجتمع التي تقوم بالكثير من المهام؛ فهي اليوم موظفة جنبًا إلى جنب مع الرجل، وتقدِّم الكثير من الجهود لرفعة هذا الوطن؛ وبالتالي فإنَّ وجود عاملة منزل هو أمر خارج عن نطاق الإرادة، فالكثير من الأسر انتقلت للعمل خارج حدود مناطقهم، وبذلك كان طبيعيًّا أن يكون هناك من يُساعد في الاعتناء بأمور المنزل في ظل غياب الأم عن المنزل، ومن هنا كانت العاملة. وأنا هُنا لا ألقي باللوم على العاملة التي تأتي إلى البلد بوظيفة محدَّدة، لتكتشف في النهاية أنها ربَّة منزل، وأن كل شيء ملقى على عاتقها، فتُصدم، وتضطر للقيام بسلوكيات خاطئة، وهو أمر يجب إعادة النظر فيه؛ فالعاملة تأتي لتساعد، وليس لتتحمل أعباء كلِّ شيء.

وأضاف الجهوري: إنَّ الأم خُلقت لتربِّي أجيالا قادرة على بناء المستقبل؛ فالأم هي المدرسة التي يتخرَّج منها الأبناء، يستقون منها موجِّهات طريق الصواب، فإنْ لم تقدم لهم يد العون لا يجب أن تتوقع منهم ما تتمنى، ففي النهاية الأطفال هم النبتة التي نقوم بزراعتها وسقيها؛ لنحصد منها كل ما قمنا بتقديمه، بعدما تصبح ثمارًا يانعة.. وهذه هي التربية في أسمى معانيها.

ظاهرة مُقلقة

عبدالله بن مُحمَّد البلوشي الأخصائي الاجتماعي وعضو جمعية الاجتماعيين العُمانية، حاول تفنيد مُسببات الرقم ابتداءً، فابتدر قائلاً: في زمن تعدَّدت فيه الوسائل المتاحة للجميع من حيث التنوُّع والاستخدام، أصبحنا نفتخر بها كإنجازات مُشرِّفة، ونسينا أنَّ بجانبها مُتلازمة مؤلمة تُدعَى «تعقُّد الأدوار التربوية» سواءً من حيث المسؤولية أو الالتزام بها؛ بحيث طلَّ علينا فجرٌ جديدٌ؛ عنوانه «مَنْ يُربِّي أبناءنا؟!»؛ كتساؤل عميق مُركَّب الأسباب والنتائج، ومُركَّز في الصياغة والهدف. فقبل حوالي ٥٠ عاماً مضت، شهدتْ معظم الدول العربية والعالم أجمع تغيُّرات اجتماعية واقتصادية وثقافية مُتعدِّدة الأوجه والنشاطات، نَتَج عنها عولمة تربوية أفقدتْ الأسر العربية والخليجية -على وجه الخصوص- أدوارها التربوية الحقيقية في تربية الأبناء، والحفاظ على بناء الأسرة الخليجية؛ فكان دخول عاملات وعمَّال المنازل إلى حياة هذه الأسر أوضح مظاهر التغريب للفكر التربوي وهوية أدوار الأسرة؛ فأصبح وجود عاملة في المنزل بمثابة معيار نجاح أسري، ومبعث راحة نفسية لأفراد الأسرة؛ فالعاملة هي من تقوم بتدبير شؤون المنزل الاعتيادية، إضافة إلى رعاية الأبناء تربويًّا من حيث المأكل والمشرب والنوم والتعليم والتعامل اليومي من الصباح الباكر وحتى المساء.

■ عبدالله البلوشي

على الوالدين التحلي بـ «بُعد النظر» في توزيع الأدوار

■ مُحمَّد الجهوري:

تخلِّي الأم عن رسالتها التربوية أسهم في تفاقم الظاهرة

وتابع موضِّحًا: تناسى الجميع أنَّ أقسى ما يُمكن أن تفقده الأسرة هو فقدان دورها في التنشئة الاجتماعية لهؤلاء الأبناء، واحتفاظها فقط بدورها البيولوجي «الإنجاب».. واصفًا الوضع الحالي بـ«الكارثي»، الذي نتج عنه تعلق الأبناء بعاملات المنازل أكثر من تعلقهم بالآباء والأمهات؛ فبدأوا يرتشفون من ثقافات وقيم دخيلة على مجتمعنا؛ سواءً في أسلوب الحياة من حيث اللبس والفكر ولغة الحوار، فالعاملة بالنسبة له المربِّي الأول، يُضاف إلى ذلك -والكلام للبلوشي- ما تقوم به بعض الأسر من ممارسة العنف اللفظي والبدني على العاملة أمام الأبناء، مما يمنح الأبناء حقًّا غير إنساني في ممارسة نفس الفعل، فتجد الأبناء يتعاملون مع العاملة بأسلوب جاف وربما بكلام بذيء؛ مما يدفع هؤلاء العاملات للانتقام، وربما ممارسة العنف اللفظي والبدني بشكل عكسي على الأبناء، وهو ما ينتج عنه مضار نفسية كبيرة لن تندمل بمرور الزمن.

البلوشي وضح وجهة نظره، بالتأكيد على أنَّ الأسرة تتشارك مع عدة مؤسسات تربوية أخرى في انتشار هذه الظاهرة؛ نتيجة لفقدانها أدوارها التربوية.. فعلى سبيل المثال، الإعلام في بعض وسائله المسموعة والمرئية، أسهم في غرس قيم ورسم صورة ذهنية مخالفة للواقع التربوي للأسرة؛ فلم نجد في أغلب مواضيع الدراما تصويرًا حقيقيًّا للواقع المجتمعي؛ وما نجده فقط هو تسليط الضوء أكثر وأكثر على المساوئ وإظهارها، وكأن الأمر تفاخر بانتشار مثل هذه الظواهر الغريبة على مجتمعاتنا؛ كالمخدرات والجرائم، والتمرُّد على قيم الوالدين، أو تصوير المعلم والمصلح بصورة نمطية مُخالفة لواقعه ودوره في المجتمع. وأبناؤنا في مراحل الصِّغر ممن يتابعون ذلك، ويدمنون على مشاهدته، لا يملكون الاستيعاب الكافي للتفريق بين حقيقة ما يُقدَّم وتناقضه مع واقعية المجتمع؛ فيصبح حب التجربة والتقليد هو غاية مثلى لهم.. مع تعميم هذه الصورة النمطية على كافة المواقف في الحياة، في ظل إعطاء الأسرة الحرية فيما يشاهدون دون قيد أو شرط أو توعية مسبقة، وقد تتعدَّى تلك المشاهدات إلى أفلام الكرتون بأنواعها المختلفة، والتي تستخدمها بعض الأسر كوسيلة ترفيه للأطفال تضمن بقاءهم في المنزل دون أي إزعاج أو فوضى، دون التدقيق في المحتوى التربوي الذي تتناوله هذه الأفلام، وما تريد أن تصل إليه من غرس وصقل قيم تتعلق بالعنف تارة، والحركة والنشاط الزائد تارة أخرى، والتفنن في إيصال رسائل موجَّهة للعقل الباطن، جعلتْ من هؤلاء الأبناء ينشغلون بالتفكير في كيفية تقليد هذه الشخصيات، ومحاكاة تصرفاتها في الواقع؛ مما ينتج عنه ميوعة وعدم اتزان نفسي وانفعالي؛ في ظل قصور توعوي من قبل الأسرة بكيفية اختيار المادة المناسبة للمشاهدة حسب الفئة العمرية.

وأردف البلوشي: أتمنى أن نلمس تحوُّلا حقيقيًّا في المضمون الذي يقدَّم للمشاهدين، وأن تُكثَّف جرعة البرامج التربوية التي تنطلق من فكر المجتمع وتعزِّز قيم الحب والتسامح بين أفراده، وتقوِّي الأسرة وتبرز أدوارها، وهي مهمَّة لابد أن يكون للإعلام بصمة تربوية فيها، تساعد على تحقيق الأهداف السامية للأسرة، وليس بوجود تناقض وخلاف بين ما تغرسه الأسرة ويهدمه الإعلام.. فالإعلام وسيلة تربوية لبناء القيم الهادفة مع تكامل المؤسسات التربوية الأخرى.

«كلكم راع..»

الأخصائية الاجتماعية نصراء بنت ناصر العامرية، كانت على النقيض بعض الشيء؛ إذ رأت أنَّ وجود عاملة بالمنزل جزء من حياة الأسرة، خاصة المرأة العاملة.. إلا أنها عادت لتوضِّح: لكن ما يؤسف له أن تتحول عاملة المنزل إلى أم لأبناء ربة المنزل، وهو بلا شك له تأثير سلبي كبير على الأطفال وتنشئتهم وبناء فكرهم؛ فالواقع يؤكد أنَّ وجود عاملات المنزل لفترة طويلة مع الأطفال دون تواجد الآباء والأمهات يؤثر سلبًا على أجيال المستقبل؛ وليس أشد وقعًا من تعلُّق الطفل وقربه الشديد من «أمه التي لم تنجبه»، ونتيجة لهذا التعلق فإنَّ الطفل يتخذ العاملة قدوة له في سلوكياته وحركاته وكلماته، وهذا الأمر ينتج عنه تشوُّه وجه البناء الاجتماعي والتركيبة النفسية للأبناء، وهو ما يُؤثر بطريقة أو بأخرى على العلاقات الأسرية داخل الأسرة الواحدة.

ووضحت أنّ: الطفل بطبيعته يميل لتقليد الآخرين، ويكتسب الصفات والأخلاقيات منهم بسهولة، وكثير من السلوكيات التي تفعلها العاملة يكرِّرها الطفل؛ حتى أصبحنا نجد بين أطفالنا من يتكلم بلغة العاملات، وهو ما له من تأثير سلبي شديد على النمو اللغوي والسليم لديهم، فيكتسب الأطفال

من المربيات مفردات لغوية ركيكة، فضلا عن مشاكل الكلام كـ «التأتأة» و «الفهفهة» و«التلجج الكلامي». ناهيك عن التأثيرات الجسدية؛ فعندما تترك المسؤولية للخادمة في تغذية الطفل؛ وهي تجهل هذا الأمر لضعف مستواها التعليمي؛ فهي بالتالي لا تعرف أساسيات غذائه، أو الغذاء المناسب لسنه؛ فيتأثر نموُّه الجسدي والعقلي. ومن بين التأثيرات أيضًا: أنَّ سن الطفولة هو السن المناسبة لتعلم الحلال والحرام، وترسيخ العادات وممارستها وفق تعاليم ديننا الحنيف كالأمانة والصدق والنظافة والطهارة، ومن الصعب تعلُّم هذه الأمور من العاملات اللائي لا يُسعفهن وقتهن، ولا عاداتهن، ولا تربيتهن الدينية لتلبيتها لأطفالنا.

ولم تغفل العامرية الإشارة إلى أنَّ وضع العاملة مكان المربية يُعزِّز الاتكالية عند الأطفال والمراهقين؛ فالعاملة تلبي كل احتياجاتهم؛ مما يجعل منهم اتكاليين؛ وبالتالي يعجزون عن إدارة شؤون حياتهم، حتى البسيطة منها، ولا عجب أن ينعكس هذا السلوك على تصرفاتهم في المدرسة، وعدم قدرتهم على

أخصائي اجتماعي: لدينا قصور في فهم معايير النجاح الأسري.. والمضاعفات المستقبلية «كارثية»

الدراسة بأنفسهم؛ كما أن العاملة غالبا ما تكون متساهلة مع الأطفال، وتحقِّق لهم كل رغباتهم؛ وهو ما ينعكس على نفسياتهم في صورة «أنانية» و «عناد» و «عدوانية»، إضافة لعدم الاعتراف بالأخطاء؛ بل تصل به الحال إلى أن يرى الخطأ صحيحًا.

ولكن، ماذا عن الإرشادات الواجب اتباعها في تلك الحالة؟ تجيب العامرية: ما يجب اتباعه في مثل هذه الحالات هو إعداد برنامج وطني وتدعيم الاتجاهات حول دور المرأة الفعلي ووظائفها التقليدية، ونبذ الاتكالية، وترسيخ ثقافة أنَّ الاعتماد على العاملة ليس منظرا حضاريا، وإنما يلغي دور المرأة التقليدية، فهو مُضر بعملية التربية، ويجب أن يشمل هذا البرنامج توعية الآباء والأمهات -من خلال وسائل الإعلام المختلفة والمؤسسات الثقافية والتربوية- بأن وجود العاملة في المنزل يعكس فشل الأم في أداء دورها؛ مما يُعرِّض الأبناء للضياع والانحراف تربويا ودينيا وأخلاقيا.

كما يجب على الأسرة أن تتحرى عن كل سلوك تراه من الابن يختلف عن سلوكيات الأسرة

نصراء العامرية: الحاجة ماسَّة لبرنامج وطني يدعم الاتجاهات حول دور المرأة ووظائفها التقليدية

سعاد الهاشمية: آباء اليوم مُطالبون بأن يدركوا أنهم لا يربون طفلًا.. بل يصنعون أمَّة

لتقوِّمه، وأن تتعامل مع الطفل بأساليب تربوية سليمة من أجل تعديل تلك السلوكيات، ولا يكون ذلك بالتحقير أو التهكم أو العقاب العنيف، وإنما بمزيد من التقارب والحوار؛ حيث إنَّ من مهام الأسرة تنقية أي شوائب في الأفكار والسلوكيات والقيم التي يكتسبها الطفل، فتربية الطفل وإعداده بشكل جيد يجعله يقيِّم سلوكيات العاملة وفق القيم والمبادئ التي نؤمن بها، والتي تشبَّع بها وتغلغلت في سلوكه وأخلاقه؛ مما يقلل التأثير العقدي للعاملة على الطفل.. واختتمت العامرية مُذكِّرة بقول نبينا الكريم: «كُلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»، وموجهة رسالة للآباء والأمهات بأن «أطفالكم أمانة، ينبغي الحرص عليهم، ورعايتهم قدر الإمكان، وعدم ترك المسؤولية بشكل تام للمربيات».

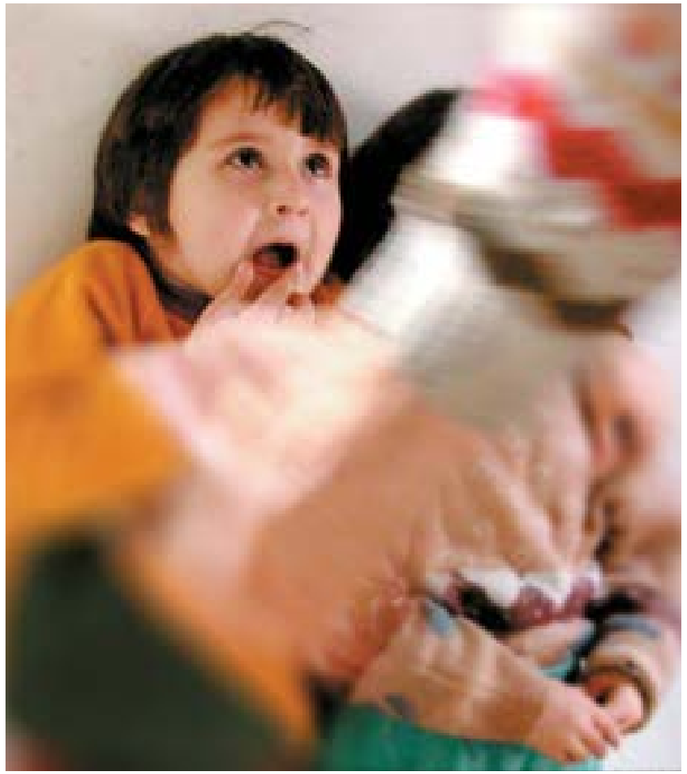

الوازع الديني

وعلى ذات المنوال، ذهبت أخصائية الطب النفسي سعاد بنت عبدالله الهاشمية، إلى القول: إنَّ العملية التربوية وإن كانت مهمة صعبة ودقيقة، إلا أنها غاية في المتعة والجمال، تُشعرنا بالحب، وتشعر أبناءنا بالأمان، تشعرنا بالمسؤولية وتشعرهم بالراحة.. فالتربية من أجمل المهام وأصعبها؛ فنحن بأيدينا نصنع أطفالنا عجينة مرنة جميلة، تتشكل كيفما نريد، فلنستمتع بصنعها وتشكيلها، ولا نُشرك المربية أو العاملة، فإنَّ لها أفكارها ومعتقداتها، ولنا ديننا وعاداتنا، فعندما تتدخل المربية وهي من مجتمع له تركيبته الخاصة -بخلاف المصطلحات والأفكار التي تحملها- تؤثر وبشكل كبير على أخلاق النشء؛ وعلينا أن لا يغيب عن أذهاننا أهمية السنوات الخمس الأولى من حياة أبنائنا؛ ففيها تتشكل شخصية الطفل التي قد يعيش على نمطها العمر بأكمله، نحن لا نربِّي طفلا واحدًا، بل نصنع مستقبلَ أمه، نغرس فيها

مبادئنا الدينية وتقاليد وعادات مجتمعنا الإسلامي.

وتطرَّقت الهاشمية إلى الشقِّ النفسي في الظاهرة؛ بقولها: عندما نلتفت للجوانب النفسية، فإنها تؤثر بشكل كبير على بناء شخصية الطفل وتطوُّر عقله ومُدركاته؛ فتربية الأم تُشعر الطفل بالأمان أكثر، فيسأل ويستفسر، وتتولَّد لديه ثقة بالنفس؛ حيث يُتاح له المجال بأنْ يتحدث ويُنصت. كما يمنحه ذلك فرصة أن يتمتَّع بالذكاء الاجتماعي؛ فيُشارك الآخرين اللعب، ويحاور ويتعلم من أخطاء الآخرين، ويقتبس من أفكارهم، فيُصبح شخصًا سويًّا، يُمارس حياته بشكل طبيعي، بخلاف ما نراه ونشاهده إذا ما كان أمر تربيته موكولا للمربية.. ووجَّهت رسالة إلى الآباء والأمهات، بأنَّ انهماكهم وانغماسهم في الشؤون الحياتية لابد أن لا يُنسيهم حقَّ فلذات أكبادهم عليهم، فهم الأولى بالرعاية، فغداً سنقف أمام الله سبحانه تعالى وسنُسأل عن تصرفاتهم وأخطائهم.